إنصاف البيت المظلوم (*)

شباب قنع لا خير فيهم

للأســـتاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

شباب قنع لا خـــير فيهم وبورك فى الشباب الطامحينا

قال هذا البيت (أحمد شوقى) رحمه الله فى قصيدته الشهيرة (نودع عنخ أمون) وقبله :

فقالى فى بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا

والبيتان فيهما مدح عظيم لبنى مصر ولشبابها محبى الغلو الطامحين ...

فكيف رآه الأديب (محمود) صاحب (كلمات) فى (البلاغ) يوم السبت — ذما ؟

وكيف يكون شاعر مصر والعرب كلهم أجمعين قد هجا شباب مصر وهو يقالى فى بيتيه فى مدحهم ؟

إن البيت الأول يوضح الثانى ، والثانى يوضح الأول ، وإذا فهم البيتان جيداً استيقن أن هناك مدحاً عظيما . وقد قالوا : إذا أردت إعراب بيت فافهم معناه ، وإذا أردت فهم معناه فأعربه ، فتعال إلى إعراب (شباب قنع لا خير فيهم) (شباب) مبتدأ و (قنع) نعت ، وجملة (لاخيرفيهم) خبر المبتدأ .

فإن قلت . قد جاءنى الإشكال لأنى أعربت (شباب) خبر المبتدأ محذوف تقديره هم ، قيل لك : البيت الأول والشطر الثانى من البيت الثانى يظاهران إعرابنا هذا ، ويثبتان أن البيت مدح ، مدح كبير ...

— ٢ —

من أصعب الأشياء فى الدنيا توضيح الواضح .

قلت : إن بيت شوقى مدح ، وقلت ليفهم البيتان جيداً ، وجئت بما جئت به . فبقى الأديب (محمود) حيث تركناه لم يتحلحل ، ووجدناه يقول : « بل القول ذم ، وكأن معنى البيتين هو : فقالى فى بنيك الصيد غالى فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ، وبورك فى الشباب الطامحين » .

فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ما هذه العسلطة(١) ؟ هل لنا شوقى بما حكيت ، هل نظم ما نثرت ، وهل هذا من كتاب (الوشى المرقوم فى حل المنظوم) لابن الأثير(٢) ؟ ...

الذى قلته فى كلمتى السابقة هو كلام شاف ولكن هذا الأديب ، حاله تسأل زيادة ، فله ما يريد :

١ — ليس المقام فى قول شوقى مقام ذم ، ولكل مقام مقال ، وقد جاء البيت يعزز الذى قبله ، وهو بيت حكيم أرسله شوقى مثلا كأبى المتنبى فى حكمه وأمثاله التى تؤيد مقاصده فى أقواله .

٢ — كيف يصف شوقى شباب مصر أنهم مغالون وأنهم قانعون وكيف يقنع المغالى ، وكيف يغالى القانع ؟

دع ميزان الذوق واللغة و (الإعراب) وخذ ميزان العقل وزن ...

٣ — رأى الأديب محمود أن البيت ذم إذ يدعو إلى حب الغلو ، وقال فى كلمته : « وكانت العرب تقول وهى تذم (ما عنده من المعالى إلا الرمى بالمغالى) أى الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد » .

وقد فهم الناقد السجمة كما فهم بيتى شوقى والمعنى الصحيح هو (ما عنده من المعالى إلا الرمى بالسهام) والمغالى جمع مغلاة وهى السهم يغلى به أى يرمى به لا « الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد(٣) » .

والقول الذى نسبه إلى العرب هو للزمخشرى ، وهو من سجعات الأساس ، وقد جاء فى هذا الكتاب : « غلا بسهمه وغالى به وتغالينا بالسهام ، وتراسينا بالمغالى ، وتقول : ما عنده من المعالى إلا الرمى بالمغالى ، وتقول : أنا لا أحب الغلو فى الدين ، والغلاء فى السعر ، والغلاء فى الرمى » .

(*) من كتاب (أمالى النشاشيبى) وهو تحت الطبع .

(١) العسلطة : الكلام على غير نظام .

(٢) قال ابن خلكان كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو مع وجازته فى غاية الحسن والإفادة » طبع فى بيروت سنة ١٢٩٨ ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

(٣) فى الأساس : جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته وتجاوز عن المسىء وتجاوز عن ذنبه . وفى اللسان : تجاوز عن المسىء أغضى ، وتجاوز فيه أفرط .